١

ماهو العلم الزائف ولماذا انتصر فى مجتمعنا ؟

★ العلم الزائف انتصر لصفات كامنة فيه وصفات كامنة فينا.

كيف تفرق بين العلم الحقيقي والعلم الزائف؟

العلم دائمًا مثير لغضب وحنق وحسد وغيرة أهل الخرافة والدجل، وأصحاب السلطة سواء الدينية أو الدنيوية؛ لأنه ببساطة امتلك آلية تغيير العالم الى الأفضل على الهواء مباشرة، صوت وصورة وليس بوعود مؤجلة في غرف البخور وجلسات قراءة الكف، وعبر شهود عيان وليس عبر عفاريت أو أشباح، ومن الممكن لمس هذه التغييرات والاحساس بها وبتأثيرها على الحياة ورفاهيتها، وليس انتظارًا لنتيجة رقية أو تأثير تعويذة، فقد طال متوسط الأعمار وتحسنت الصحة وزاد معدل الإنتاج ووصل الانسان إلى القمر بفضل العلم، لا بفضل شمهورش ولا عبر تسخير الجان، وصارت نبوءته مبنية على قواعد صارمة، وليست تهويمات صارخة، كل يوم يكسب العلم أرضًا من أهل الخرافة، فيترجمون خسارتهم إلى عنف ومحاولات يائسة لتسفيه العلم والهجوم عليه وعلى منجزاته، وزرع الكراهية له في قلوب البشر وعقولهم، التى يسطحونها ويخدرونها ويسجنونها في قفص

القطيع، وعندما نفذ صبر أهل الخرافة من هذه الانتصارات المتتالية للعلم فكروا في أن يغيروا ويبدلوا في أسلوب خرافاتهم بإسباغ صفة العلم عليها، والانتقال من هتاف هابرا كادابرا ودفوف الزار وقراءة الفنجان إلى إجراء التجارب ودخول المعامل لمنح الخرافة صفة العلم، وهو ما يسميه الغرب الآن

PSEUDOSCIENCE أى العلم الزائف، لايمكن اعتبار الدجال عالمًا بمجرد خلعه لجلبابه المزركش وقبعته المدببة، ومسبحته المتدلية ومسحه لماكياجه المبهرج والصمت عن ألفاظه البهلوانية، وارتدائه بالطو المعمل والنظارة السميكة، والبايب ذى الرائحة السحرية ورطانته ببعض المصطلحات اللاتينية، لايكفى كل هذا ليجعل من المهرج فيلسوفًا، ولا من بائع الوهم صانعًا للأمل، ولا من المفرط في المتاح محققًا للمستحيل، للأسف بدأت حبة البركة وبول الإبل والبردقوش والرقية تؤلف عنها رسائل دكتوراه في جامعاتنا لمجرد أن نقول إننا نسبق العالم بعلمنا اللدنى، صرنا نشفي كل الأمراض والأسقام بمجرد صباع كفته يكفى أن تقرأ عليه سورة الكهف، كما يدعى المخترع الراسبوتيني ليتحول هذا الصباع العجيب من الكفتة إلى مستشفي كليفلاند !!.

البداية هى معرفة ما هو التفكير العلمى أصلاً؟، ليس التفكير العلمى بالضرورة هو تفكير العلماء حاملى الدكتوراهات، فمن الممكن أن يفكر رئيس قسم الفيزياء بطريقة غير علمية وبعد أن يخلع بالطو المعمل ينزل حيث الدجال ليفك له الربط والعمل حلاً لمشكلته الجنسية !!، ومن الممكن أن يفكر بقال بسيط

يفك الخط بالعافية بطريقة علمية، حين يدرس احتياجات منطقته واقتصاديات سكانها ويوفرها ويتوافق معها في محل بقالته، والبنى آدم العادى ممكن أن يتصرف بطريقة نطلق عليها علمية حتى في موقف تافه تتخيل لأول وهلة أن هذا الوصف لاينطبق عليه، فلو دخلت إلى سريرك مساء وسمعت ضوضاء في الخارج، من الممكن أن تتصرف بطريقتين: الطريقة الأولى علمية بأن تفترض أن كلبًا تشاجر مع قطة مثلاً وتؤكد افتراضك بتجربة بأن تفتح النور وتخرج لتتفقد المكان، وإما أن يصح افتراضك وتجد الدلائل التى تدعم تجربتك بأن ترى فعلاً الكلب والقطة وسلة القمامة محتوياتها مبعثرة، وإما أن يبطل افتراضك بألا تجد أى دليل فتبدأ افتراضًا جديدًا وهو أن هناك لصًا بالخارج، والطريقة الثانية غير العلمية هو أن تعزو وترجع الضوضاء إلى العفاريت، التى تسكن المكان منذ فترة وهو افتراض لا تملك لتفنيده أو إثباته أو تكذيبه أى دليل وهذا هو التصرف غير العلمى، وهنا سنفهم ما هو سر انبهار العلماء بالتعريف العبقري الجامع المانع البسيط السهل الممتنع لفيلسوف العلم كارل بوبر حين قال « العلم هو القابل للتكذيب »، وهكذا تمت التفرقة ما بين العلم واللاعلم، ولكن كيف نفرق ما بين العلم والعلم الزائف الذى يتمسح في العلم؟.

من يقول لك ربما وأظن واحتمال ونسبتها كذا في المائة فهو يتحدث بلغة العلم الحقيقي، من يتحدث جازمًا بمؤكد وأكيد ولابد وحتمًا وبنسبة ١٠٠٪ فهو يتحدث بلغة العلم المزيف،

فالعالم الحقيقي متشكك موسوس مغرم بالتفاصيل، يقول هذه هى المعلومات والحقائق وتعالوا نجرب لنصل إلى نتائج، أما العالم المزيف فيقول هذه هى النتائج الجاهزة وتعالوا نفبرك لها حقائق ونخترع لها معلومات لنلبسها على المقاس والطلب والرغبة، وتعالوا نتفق مبدئيًا على أن الكثرة والانتشار، ليست معيارًا للحقيقة ولا ميزانًا للصدق، وإلا لكان المنجم أصدق من عالم الفلك، فالمنجمون بالآلاف وعلماء الفلك بالعشرات، المحك الحقيقي هو قوة حجة الفكرة وقدرتها على الصمود أمام سهام التكذيب.

العلم يعتمد على صدق وسائله ومصداقية تجاربه أما العلم الزائف فيعتمد على السلطة أيًا كان نوعها، يتكئ العلم الزائف على عكاز السلطة، ينفخ بصوته المبحوح الكاذب في ميكروفون السلطة فيمنح صوته قوة مضاعفة ليست فيه، العلم الزائف يثير الغبار بالسلطة التى يعتمد عليها ويوجه نور السلطة الزينون المتوهج في عيون البشر والناقدين حتى لا يروا العيوب والمثالب والنواقص، العلم الزائف يقتبس قوة سلطة دينية فيلبس عمامتها أو سلطة عسكرية فيرتدى نياشينها أو سلطة رأى عام فيجلد المعارضين بسياطها، يقنع العلم الزائف الناس من خلال تأثير هذه السلطة وليس من تأثير قوة منطقه وتماسك حجته وقياسات تجاربه، الالتصاق بالسلطة والتمسح بأعتابها والاختباء خلف أسلحتها عادة مزمنة لدى أصحاب العلم الزائف يجعل أقزامها عمالقة حين يقفون على أكتافها.

العلم دائمًا ما يركز في معمله وميكرسكوبه وعلى تجاربه وأبحاثه ولا يلقي بالاً لما يحدث خارج باب المعمل الموصد المغلق ولا يخترع معارك وهمية أو مؤامرات بيزنطية، العلم الزائف دائمًا ما يشكو من أنه يتعرض لمؤامرة كونية ومحلية، من مافيا شركات الأدوية ومن الحاقدين حزب أعداء النجاح ومن الصليبية العالمية والصهيونية الإمبريالية والمخابرات الأرضية والسماوية وسارقي الأسرار و المنافسين الأشرار... إلى آخر هذه الأوهام التى تنفع لأفلام هيتشكوك وقصص أجاثا كريستى، أكثر مما تنفع لجو ومناخ العلم الجاد، وبالطبع يعجب العامة الذين يغازلهم العلم المزيف ويداعب مشاعرهم ويراهن على كسبهم لأرضه بهذا الفيلم الأكشن الذى يتآمر فيه الكون بمجراته ونجومه على العالم المسكين الذى سيقدم للبشرية أعظم الاختراعات ويحول بينه وبين فائدة الناس هؤلاء المتآمرين آكلى لحوم العلماء !!.

العلم يحب الشمس والنور وينمو في الأوكسجين والهواء النقي، ويحتاج الضوء ليصنع منه كلوروفيل التغيير والإبداع لذلك فمقياسه النشر العلمى في الدوريات العلمية ومعياره وميزانه انتقادات العلماء في المؤتمرات العلمية الدولية، العلم يسعى للعلن، لايختبئ في كهف ولا يعرف شغل العصابات ولا يتقن لغة الشفرة والسيم والتلسين ولهجة من تحت لتحت والدروب الجانبية والأنفاق السرية، العلم الزائف على العكس، يدعى السرية ويوهم الناس بالكتمان مخافة التسريب واحتياطًا

من أطراف المؤامرة وتحسبًا للسطو المسلح، والغريب أنه مع كل هذا الجو الهيتشكوكى الكافكاوى الغامض غالبًا ما يعلن نتائجه في مؤتمرات صحفية وضجة إعلامية وبروباجندا جوبلزية !!.

لماذا يعلن العلم الزائف عن نتائجه إعلاميًا في مؤتمرات صحفية وبرامج فضائية قبل الإعلان عنها في مجلات علمية محكمة أو مؤتمرات علمية دولية، بالرغم من أنه يردد دائمًا نحن نحافظ على السرية خشية المؤامرة الكونية؟، سؤال مطروح ومشروع والإجابة عنه توضح لنا الميكانزم، الذى يستخدمه العلم الزائف للانتصار وكسب الجمهور وللأسف هو انتصار وقتى ومكسب زائل، لا يطمح إليه العلم الحقيقي الذى لا يتاجر بغرائز وعواطف البسطاء، هذا الشبق الإعلامى هو استباق من أصحاب العلم الزائف؛ لأن شرط التجربة في العلم هو إمكانية إعادتها عدة مرات بأشخاص مختلفين وعلماء متعددين والحصول على نفس النتيجة، ومن هنا تأتى أهمية النشر لكى يطلع عليها من يريد تكرار التجربة للتأكد، وهذا حق علمى مشروع ومطلوب، فمن يعلن أن الماء يتجمد عند درجة حرارة الصفر هو انسان يعلن للعالم، ويدعوه قائلاً؛ ها أنا اكتشفت قانونًا فيزيائيًا معينًا فلتجربه يا شوان لاى في الصين، ويا جورج في انجلترا، ويا محمد في أفغانستان، ويا بيتر في كينيا، ويا حاييم في اسرائيل، ستجد حتمًا نفس النتيجة، وأنا مستعد كعالم لمراجعة نتائجى، إذا وجد أحدكم ظاهرة مختلفة أو رقمًا مغايرًا، والعالم الحق لا يخجل من مراجعة نتائجه ولايعاند، العلم لا يعرف القمص

والزعل وحساسية الكرامة الشخصية عند النقد، بل العالم الحق هو من يدق الأبواب على الآخرين قائلاً «استيقظوا وأنقدونى وقوموني بالأبحاث المضادة»، قوانين نيوتن التى غيرت العالم، وكانت ثورة جديدة في مفاهيم الحركة والفيزياء والنظرة إلى الكون عمومًا، هل عندما جاء أينشتين، واكتشف أن هذه القوانين غير مناسبة في ظروف أخرى مثل السرعات الهائلة أو حركة الكترون أو طبيعة ضوء تفسيرها مختلف.. إلخ، هل زعل واتقمص تلاميذ نيوتن، ممن حصلوا على الدكتوراهات طبقًا لمفاهيمه وأعلنوا الانتقام من أينشتين، الذى أحرج أستاذهم وخذلهم وجرح كرامتهم؟!، هذه المفاهيم الثأرية الانتقامية غير موجودة في العلم الحقيقي على عكس العلم الزائف.

العلم لا يعرف الطناش بل وقوده هو الوسوسة والتشكك، العلم الزائف عمود خيمته الأساسي هو الطناش بمعنى تجاهل الأخطاء التى تكتشف أثناء البحث المتسربع السريع الذى به من اللكلكلة الكثير، كنس تراب الأخطاء وإخفاؤها أسفل سجادة البحث اللاعلمى اعتمادًا على ذاكرة الجمهور المستهدف المصابة بالألزهايمر، والتى تمل بسرعة من الدقة والأرقام والاحصائيات، هذا الكنس والإخفاء هو القاسم المشترك الأعظم بين كل مايسمى علمًا مزيفًا بداية من الجراحة الآسيوية بدون مشرط حتى ثنى المعادن وتحريك الأشياء عن بعد، وغالبًا أو فلنقل دائمًا العلم المزيف لا يراجع نفسه وطبعة كتابه الأول شبيهة بل ومطابقة لطبعة كتابه الألف فهو يكرر نفس الكلام ويدور في نفس الفلك؛

لأنه لا يملك علمًا تراكميًا تطوريًا، بل هى فكرة وهمية تلمع في الذهن يلفق لها نتائج وتجارب لا تعرف لها رأس من قدمين لتقدم للجمهور طبخة برائحة العلم، ما أن يتناولها المجتمع حتى يصاب بالتلبك العقلي.

العلم لايغازل غريزة عشق الماضي والحنين إلى القديم الساكنة داخلنا، العلم لا يعرف النوستالجيا ولا يحترمها، بل ويثور ضدها ولذلك وهو يقتلع الجذور ويثور على أفكار الماضي البالية، التى عفا عليها الزمن يكتسب كراهية البعض الذين استمرأوا وأدمنوا النوم على وسائد التخدير اللذيذ، لا القلق الفعال المنتج المغير المقدم المحفز، العلم الزائف يلعب على هذا الوتر ويغازل هذا الحنين ويدلك غدة هذا الشوق، يستدعى الماضي، ويقول أنا أقدم لك اختراع أو اكتشاف مستمد من قيمنا الثابتة وتاريخنا التليد وماضينا العتيد... إلى آخر هذه الشعارات الزاعقة التى تنفع لحملة انتخابية وليست لمناقشة علمية أو تجربة أكاديمية، ولكن هل هذه هى العاطفة الوحيدة، التى يلعب عليها العلم الزائف أم أن هناك دغدغة وزغزغة لعواطف أخرى شبيهة؟.

العلم حيادى وأحيانًا ينفر هذا الحياد الأكاديمي البسطاء والعامة والجمهور، العلم الزائف يداعب العواطف ويستخدم لغة المظاهرات وشعارات الحشد ولافتات غزل الأمانى الوردية، العلم يستخدم التفنيد، العلم الزائف يستخدم التأكيد، التفنيد وجع دماغ، أما التأكيد فهو راحة وتخدير وراحة دماغ، وهذا هو مغناطيسه الجذاب لدى البشر، خاصة في المجتمعات التى

يطحنها الجهل والتخلف والفقر مثل مصر.

العلم يميل إلى الاقتصاد والتحديد، العلم الزائف يميل إلى الرطرطة والغموض، يصف هذا بأنه ثقيل وذاك خفيف، ولكن العلم يرد عليه بأن هذا يبلغ وزنه جزء على ألف من الجرام وذاك يزن مليون طن، العلم يحول مجلد الثرثرة إلى معادلة من أربعة حروف تتوجها علامات الجمع والطرح والقسمة والضرب، أما العلم الزائف فيعشق اللت والعجن واللف والدوران ويسكن بيت الأشباح ومتاهة جحا، وينحت لنفسه ألفاظًا تخضك وتلخبطك، فتتهم نفسك بأنك جاهل لأن طلاسمها فوق مستوى تفكيرك المحدود وخيالك المتواضع، يقول لك العالم المزيف أنا لدى علم لدنى وتسكننى طاقة كونية ويختصنى القدر برسائل سرية واطلاعات مستقبلية... إلى آخر هذه اللغة الرمزية السرمدية، التى كالسراب كلما خضت فيه وخلت أنك تمسكه يتسرب منك ويراوغك.

العلم شامل أما العلم الزائف فهو انتقائي، العالم الزائف يختار تلفيقاته بدقة وهذه هى الدقة الوحيدة، التى يجيدها وما عدا ذلك فهو عشوائي بامتياز، العالم الزائف يلجأ إلى التزوير لإثبات نظريته ودعم اكتشافه، وللأسف يمنح نفسه مظلة أخلاقية مزعومة لممارسة هذا الإجرام اللا أخلاقي.

العلم لا يدعى أنه يمتلك إجابة كل الأسئلة، العلم الزائف يتبجح بأن في جيبه الصغير إجابات كل الأسئلة، وشفاء كل الأمراض وتحقيق كل الأمانى بخوارقه ومعجزاته، ترى العالم الزائف يقدم في كبسولة أعشابه وبرطمان افتكاساته شربة الشيخ

على لشفاء كل الأسقام من البواسير حتى السرطان، العلم الزائف دائمًا ما يشكك في العلم الحقيقى ويتساءل «كان عمل لك إيه يعنى العلم؟ كان شفاك من السرطان ولا الإيدز؟!» ويتناسي أن عجز العلم عن حل مشكلة الآن لا يعنى أنه سيعجز مستقبلاً أو أنه لن يتمكن من الحل آجلاً أو عاجلاً، بل هو حتمًا سيحلها؛ لأنه يمتلك آلية غير موجودة في العلم الزائف، وهى آلية تصحيح ذاته وإصلاح أخطائه، ولن نصل إلى الحل إلا عبر المرور على جسره المستقيم المتفرد، حيث الهدف والأمل والعلاج والحل، الطريق إلى العلم هو جسر واحد ليس له ثان وواد ممتد خصيب وواضح وصريح، لا لبس فيه ولا سراب، و ليست له شعاب جانبية فاتبعوه ولا تتبعوا العلم الزائف فتكونوا من الخاسرين.

obeikandl.com